أثر تجربة الدعم على الفاقدات وفق نهج «من فاقدة إلى فاقدة»

د. سهيل حسين عطا حسنين*

* أستاذ مشارك/ دائرة الخدمة الاجتماعية/ جامعة القدس/ أبو ديس.

ملخص:

تعاني المرأة الفلسطينية من ممارسات الاحتلال، لذلك تعدُّ خبرة الفقدان مرحلة مميزة في حياتها من ناحية، وتعدُّ عملية التكيف والدعم الاجتماعي مورداً لا يتجزأ من عملية مواجهة أعراض ما بعد الفقدان من ناحية ثانية.

هدفت هذه الدراسة إلى وصف دور الدعم الاجتماعي المستند إلى نهج من «فاقدة إلى فاقدة» ومناقشتها، ومن خلال استخدام المنهج الكمي بهدف رصد التغييرات التي حصلت لدى الفاقدات نتيجة الدعم، وباستخدام استمارات مناسبة. تستخدم الدراسة أساليب إحصائية متعددة وصفية (المتوسط الحسابي والانحراف المعياري) ، واستدلالية (اختبار ت للمقارنات الثنائية، وتحليل التباين أحادي الاتجاه واختبار شيفيه لفحص مصادر الفروق في المواقف) .

أظهر التحليل الإحصائي أن لنوع الفقدان، وعمر الفاقدات، وحالتهن الاجتماعية ولسنوات التعليم، لا يوجد أي تأثير على أنماط التواصل خلال القياس القبلي والبعدي. في حين أن التحليل أظهر وجود الفروق في متغيرين: المنطقة السكنية ونوع الفاقدات.

أظهر التحليل الإحصائي أيضا حصول تغييرات جوهرية في مواقف الفاقدات اتجاه اضطرابات الفقدان وتجربة الدعم، حيث يؤكد أن لعملية الدعم تأثيراً على التعامل مع اضطرابات الفقدان. إن جزءا من هذه الاضطرابات موجود لدى الفاقدات قبل الفقدان، وهذا مؤشر لتأثير الفقدان الجمعي الذي تعاني منه شرائح عديدة في المجتمع الفلسطيني نتيجة لممارسات الاحتلال.

من الاستنتاجات المهمّة التي توصلت إليها التجربة الحالية أن نهج الدعم المتبادل الشمولي «فاقدة إلى فاقدة» أثبت فعاليته وإمكاناته في التخفيف من حدة اضطرابات الفاقدات والداعمات، وبخاصة على مستوى أنماط تواصلهن مع أنفسهن ومع الآخرين. يمكن اعتبار تجربة الدعم مع تحدياتها وإنجازاتها هي البداية، فالحاجة ملحة إلى تطوير هذه التجربة وتوفير الشرعية لها على المستوى المؤسساتي والاجتماعي.

كلمات مفتاحية: الفقدان، الدعم، نهج من فاقدة إلى فاقدة.

Abstract:

The current study aimed to describe and understand the effects of holistic intervention, based on the mutual support approach "from a bereaved woman to another". The quantitative method has been utilized to form an integrated description, analysis and explanation of the experience's consequences, that has been analyzed through using arithmetic mean and standard deviation measures, and by using the Paired Samples T-Test and One Way ANOVA, followed by using Scheffe test.

The results of the study have revealed that there are concrete changes in women's attitudes in terms of intra communication and inter communication patterns comparing before and after support's experience. Such outcome may reflect the fact that loss is a personal crisis, first and collective, second. It also reflects that it strongly affects the communication of the individual with self and then with others.

Results showed that there has been no effect, as regards to type of loss, age, social status and education, on the bereaved women's attitudes in communication patterns; whilst the statistical analysis revealed differences in two variables: residential area and type of bereaved women. The statistical analysis revealed that there have been essential changes in bereaved women's attitudes towards loss-related disorders and towards the support experience. It confirmed that support process affects dealing with loss-related disorders.

This current study has importantly concluded that the holistic, mutual support approach, based on the concept of bereaved woman-to-bereaved woman, has proved effective and promising as regards the alleviation of the intensity of the direct bereaved disorders.

The study concluded that there is a need to develop this approach and provide it with societal and political legitimacy.

Key words: *collective loss, social support, "from a bereaved woman to another" approach*

مقدمة:

إن الخوض في تجربة تربط النساء، والاحتلال، والفقدان والدعم هي مهمة صعبة، حيث تحاول الدراسة الحالية التركيز على تجربة النساء، كما انبثقت من أنشطة الدعم، ومن الدراسة الكمية التي أجريت لفحص نتائج هذه التجربة.

يعيش الشعب الفلسطيني رجالاً ونساء، أطفالاً وشباباً ومسنين تحت وطأة مستمرة من إجراءات الاحتلال التي تشكل تهديداً مستمراً على حياتهم. هذه الإجراءات تسبب بيئة من الخوف والقلق، وما يقترن بهما من التوتر النفسي والعصبية والإحباط والبلبلة وعدم القدرة على التفكير المنطقي، وتوقعات مستمرة لحصول صدمات وأزمات، وفقدان الضبط والسيطرة، ومشاعر أليمة أخرى. تتأثر النساء بشكل ملحوظ بهذه الممارسات. إنهن يعانين مع أسرهن في حالات الاعتقال أو الإصابات أو استشهاد أحد أفرادها، أو الحصار أو هدم البيت. والنساء أيضا أمهات، أخوات وبنات لفاقدين أو فاقدات، معتقلين ومعتقلات. هذه الأوضاع تؤدي لفقدان مستمر، وفي حالات كثيرة تظهر لدى النساء أعراض أو «اضطرابات ما بعد الصدمات».

تحرم النساء أحيانا من حق زيارة أزواجهن أو أولادهن المعتقلين أو السجينين، وينتظرن الأيام والليالي والأشهر أحياناً، من أجل الحصول على إذن، ولكن دون جدوى. أكثر من ذلك، وبسبب غياب الزوج، تجبر النساء على تحمل أعباء الأسرة ومسؤولياتها، وبسبب المجتمع المحافظ فهن غير مهيئات لهذه الأدوار الجديدة، كونهن يعشن في مجتمع أبوي وهذه الحقائق الاجتماعية تصعِّد من معاناتهن، إضافة لمعاناتهن من إجراءات الاحتلال.

حقيقة تعاني النساء الفلسطينيات– شأنهن شأن نساء العالم العربي والعالم الثالث– خاصة من الفقدان والصدمات. في حين أن معاناة النساء نابعة من ممارسات الاحتلال، إلا أن هذه الممارسات تؤثر أيضا على الأفراد والمجموعات والمجتمعات، حيث تعاني الأسرة، وبخاصة الأطفال والأزواج من تجارب مؤلمة يومياً، ومن أشكال مختلفة من الفقدان. ما يميز هذا الفقدان أنه يجسد عنفاً صدمياً مستمراً بدون أي استعدادات مسبقة؛ حدث صدمي يشكل«كارثة معنوية للفلسطينيين» (المركز العربي للدراسات المستقبلية، ٢٠٠٢) .

سياق عملية دعم النساء الفاقدات:

الاتجاه هو السعي في بحث واقع النساء الفلسطينيات، ومن خلال النظر إليهن من داخل السياق الذي يعشنه. يستند هذا النهج إلى الاستماع مباشرة ووجهاً لوجه لكلمات

النساء في وصف مشاعرهن وآلامهن وذكرياتهن من ناحية، والسعي إلى التعرف على أساليب ملائمة لمساعدة الناجين الآخرين من الناحية الأخرى.

وقد طُرحت فكرة جديدة حول كيفية الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الفاقدات، وكيفية تطوير آليات تمكن من ذلك، فكانت فكرة تجريب منهج «من فاقدة إلى فاقدة» مع مراعاة أمور عدة منها المنطقة الجغرافية، وذلك لتغطية أكبر عدد ممكن من المواقع، طبيعة الفقدان، أنواع الفقدان، إمكانية الحركة للفاقدة، الرغبة الذاتية للفاقدة في المشاركة في هذا العمل، شخصية الفاقدة، ومدى إمكانية تبوئها لدور قيادي في المجتمع المحلي.

لقد طُوِّر نموذج تدخل دعم شامل لمواجهة صدمة الفقدان، حيث تم العمل ضمن أربعة مستويات دعم مختلفة: فالدعم الفردي الذي يهدف إلى التدخل في مرحلة ما بعد الفقدان مباشرة لمساعدة الفاقدة على مواجهة الصدمة والعودة إلى الحياة الطبيعية بأسرع وقت ممكن، وذلك من خلال التوجه للفاقدة من قبل داعمتين للعمل معها بشكل مباشر ومساعدتها على التفريغ الوجداني. أما الدعم الجماعي، فيهدف إلى توفير الراحة النفسية من خلال الدعم النفسي الاجتماعي داخل المجموعات التي تتشارك في الفقدان، حيث تتبادل الفاقدات خبراتهن وتجاربهن. ثم الدعم المجتمعي، الذي يهدف إلى زيادة الوعي المجتمعي حول الفقدان وآليات التعامل معه بما يضمن توفير بيئة مجتمعية داعمة للنساء الفاقدات، حيث تقوم الفاقدات الداعمات بعقد حلقات نقاش ومحاضرات من خلال التنسيق مع المؤسسات المجتمعية المختلفة، يعرضن فيها تجاربهن ويتطرقن بوضوح إلى الأخطاء المجتمعية التي تمارس وتزيد من عبء الفقدان على الفاقدات، وتسهم في زيادة معاناتهن، والبدائل المطلوب تطويرها مجتمعياً. وأخيراً تدريب الداعمات وتوجيههن، حيث تُشرك الداعمات في برنامج تدريبي يتمشى وفق حاجياتهن خلال تنفيذ لقاءات دعم الفاقدات.

يركز هذا النهج على تناول المواضيع التي تعرضت لها الفاقدات، مثل أعراض الفقدان، وأنواع الفقدان، ومضاعفات الفقدان وتأثيراته على الفاقدات وعلى أفراد الأسرة، وأوضاع اجتماعية واقتصادية نابعة من ممارسات الاحتلال وتأثيراتها على الفاقدات وعلى أسرهن، كيفية التعامل مع الفقدان على مستوى الفاقدة، وعلى مستوى الأسرة ككل، قضايا محددة مرتبطة بالفقدان مثل: (زواج الأرامل، ومخصصات الأرامل، وعلاقات زوجية وتأثير الفقدان، ودور الفاقدة في الأسرة والمجتمع).

مصطلحات الدراسة:

◄ **الاحتلال الإسرائيلي**: عملية استيلاء السلطات الإسرائيلية وهيمنتها على مكونات الشعب الفلسطيني من أرض وإنسان منذ ١٩٦٧. وتُعدُّ هذه السيطرة الشاملة أحد

أشكال الاستعمار وأكثرها وضوحاً وإثارة، وتشمل السيطرة النفسية، والثقافية، والمدنية، والاقتصادية، والسياسية والعسكرية.

◄ **الفقدان**: استشهاد أو اعتقال أو إصابة أو هدم بيت أو سلب أي نوع من الحقوق والأملاك الناتجة من ممارسات الاحتلال.

◄ **مراحل المشروع**: المرحلة الأولى (٢٠٠٢– ٢٠٠٤) ، والمرحلة الثانية (٢٠٠٤– ٢٠٠٦) ، والمرحلة الثالثة (٢٠٠٧– ٢٠١٠) .

◄ **نساء فاقدات جدد**: نساء فقدن أحد أفراد الأسرة أو أقرباء من الدرجة الأولى، أو أملاك في الآونة الأخيرة (٢٠٠٧– ٢٠١٠) .

◄ **فاقدات داعمات جدد**: نساء فاقدات خلال انتفاضة الأقصى وبعدها اشتركن في فعاليات المرحلة الثانية من المشروع باعتبارهن فاقدات، ويشتركن باعتبارهن داعمات في المرحلة الثالثة.

◄ **فاقدات داعمات قدامى**: نساء فاقدات خلال انتفاضة الأقصى وبعدها اشتركن في فعاليات المرحلة الأولى من المشروع كفاقدات واشتركن كداعمات جدد في المرحلة الثانية، واشتركن أيضا كداعمات ضليعات في المرحلة الثالثة.

◄ **نهج الدعم المتبادل، أو من فاقدة إلى فاقدة**: إستراتيجية تدخل تؤمن أن دعم الفاقدات يتم من خلال فاقدات متشابهات في التجربة، وفي الخلفية الاجتماعية والسياسية.

◄ **مواقف أو اتجاهات**: آراء و مشاعر تعكس ميول الأفراد الإيجابية أو السلبية نحو شيء ما، وبدورها تؤثر على السلوك (Psychology Glossary, 2011)

أهداف الدراسة وأسئلتها:

في ضوء الازدياد في عدد النساء الفاقدات خاصة، وعدد الفاقدين في المجتمع الفلسطينيين عامة، نفترض أن الحاجة ملحة لدعم حاجيات النساء والمجتمعات التي تعاني من أعراض ما بعد الصدمات ومواجهتها. بالتالي فالغرض الأساس للدراسة هو فحص أثر نهج «من فاقدة إلى فاقدة» على الفاقدات من ناحية تواصلهن مع أنفسهن ومع الآخرين. أي أن للدراسة هدفاً أساسياً هو توفير مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات النابعة من فحص فاعلية هذا النهج وكفاءته.

تسعى الدراسة إلى تحقيق أهداف فرعية أهمها: دراسة مواقف الفاقدات اتجاه التغييرات الحاصلة لديهن على مستوى أنماط التواصل الذاتي والتواصل مع الآخرين؛

فحص التباين ومصدره والحاصل في مواقف الفاقدات وفق متغيرات مثل: عمر الفاقدة، ومنطقة السكن، ونوع الفقدان والوضع العائلي؛ فحص حصول التغييرات في مواقف الفاقدات تجاه اضطرابات ما بعد الصدمة؛ فحص مواقف الفاقدات اتجاه عملية الدعم المعنوي والاجتماعي، وفحص مواقف أهل الفاقدات اتجاه الفقدان والدعم.

بالتالي، تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة: ما مواقف الفاقدات والداعمات اتجاه أنماط التواصل بعد تجربة الدعم مقارنة بالفترة القبلية؟ هل هنالك فروق في مواقف الفاقدات والداعمات اتجاه أنماط التواصل تعزى لمتغيرات مستقلة (مثل: منطقة سكن الفاقدة، والعمر، ونوع الفاقدة، ونوع الفقدان، والحالة الاجتماعية وسنوات التعليم) ؟ وفي حال وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المواقف اتجاه أنماط التواصل بين مجموعات هذه المتغيرات المستقلة: ما مصادر هذه الفروق؟ كيف تنظر الفاقدات للدعم المعنوي والاجتماعي عامة قبل الدعم وبعده؟ كيف تتصور الفاقدات تعاملهن مع الفقدان والقدرة على الاستمرار قبل الدعم وبعده؟ ما هي مواقف الداعمات اتجاه التغييرات الحاصلة لديهن نتيجة المشاركة في لقاءات الدعم؟ وكيف يدرك أفراد في الأسرة أوضاع الفاقدة خلال مرحلة الدعم وبعدها؟

منهجية الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من فئة مقصودة تتكون من مجموع النساء اللواتي اشتركن في المرحلة الثالثة من مشروع «النساء، الاحتلال والفقدان». إن العدد النهائي للمجتمع المشارك في فعاليات المشروع كان ٧٠ فاقدة، و٢٤ فاقدة داعمة. وفق البيانات، فإن ما يميز أغلبية مجتمع الفاقدات هو فقدان من نوع اعتقال أو استشهاد الزوج أو أحد أفراد الأسرة (حوالي ٧٧٪ من المجموع الكلي) في حين أن حوالي ١٢٪ من الفاقدات يعانين من فقدان متعدد، وهذه النسبة ليست بقليلة، لما لها من مضاعفات على الصحة النفسية والاجتماعية. تظهر البيانات أيضا أن أغلبية الفاقدات والداعمات متزوجات (٧١٪) وأرامل (٢٠٪) ، في حين أن عمر ٣٩,٤٪ منهن هو ٤١- ٥٠ سنة، و ٢٤,٥٪ منهن ٣١- ٤٠ سنة؛ ٢٣,٤٪ منهن بعمر ٥٠ سنة فما فوق والباقي دون ٣٠ سنة. يبدو، من ناحية سنوات التعليم، أن ٥٠٪ من الفاقدات هن دون ٩ سنوات تعليمية.

ترتكز عملية جمع المعلومات على استمارة تتكون من أربعة أقسام، حيث يتطرق القسم الأول لمعلومات شخصية حول الفاقدة (١١ فقرة) ؛ ويتطرق القسم الثاني لوجهة نظر الفاقدة تجاه التعامل مع الفقدان والقدرة على الاستمرار (٢٣ فقرة مغلقة، الإجابات عليها تندرج على سلم خماسي ابتداء من: «دائما» وانتهاء بـ «مطلقا») ؛ القسم الثالث يتطرق

لمواقف الفاقدات تجاه الدعم المعنوي والاجتماعي (٥ فقرات مغلقة) ؛ القسم الرابع يصف رؤية الفاقدة لنفسها، وهذا القسم مهم جداً، ويتكون من ٢٠ متغيراً، من نوعين: متغيرات مرتبطة بمواقف تجاه الذات (٩ متغيرات) : مدى معرفة الذات، وتقويم الذات، والثقة بالذات، والارتياح والطمأنينة، والتحصيل الذاتي، والانفتاح الفكري، والتصرف حين الغضب، والتخطيط للمستقبل، والاستقلالية. ومتغيرات مرتبطة بمواقف تجاه الآخرين (١١ متغيرا) : محبة الآخرين، ورد فعل لمودة الآخر، ومدى مشاركة الآخرين للمشاعر والأفكار، ومدى المساهمة في المجتمع، والعلاقة مع المؤسسات، ورد الفعل لعنف الآخر، والاهتمام في دعم الآخر، والقدرة على الإنصات للآخر، ورد الفعل لنقد الآخر وتقويمه، مدى تقبل المختلف وحب العمل في جلسة فردية. وأسئلة هذا القسم مغلقة، حيث يندرج الجواب على مسار يتألف من ١٠ درجات: (قيم تدريجية من درجة ١– الأقل إلى درجة ١٠– الأكثر) . إضافة إلى ذلك، لكل سؤال جوابان: جواب أول مرتبط بالوضع الموجود، وجواب ثان مرتبط بالوضع المرغوب. ومن المتوقع أن تضع الفاقدة خطاً بين الدرجة التي تعكس وضعها الموجود، وبين الدرجة التي تعكس وضعها المرغوب.

قام الباحث بتطبيق الاستمارة على مجتمع الداعمات والفاقدات معاً (٩٤ استمارة قبلية) ، واُستخرج معامل ثبات الاتساق الداخلي وفق معادلة الثبات كرونباخ ألفا، وكانت الدرجة الكلية (٠,٩٢٥) ، وهذه النتيجة تشير إلى تمتع هذه الأداة بثبات يفي بأغراض الدراسة، مما يجعل الاستمارة ثابتة، ويعتمد عليها لقياس ما أعدت له.

من ناحية تعبئة هذه الاستمارات، فقد عُبئت الاستمارات في نقطتين زمنيتين: قبل الدعم (خلال آذار ٢٠٠٩) وبعده (خلال شباط ٢٠١٠) . لقد تمت المحافظة على تلاؤم بين الاستمارات بين القياس القبلي والفحص البعدي لكل فاقدة أو داعمة، (من خلال عملية ترقيم لكل استمارة، بحيث حصلت كل استمارة على رقم متشابه في القياسين) .

حُلِّلت البيانات باستخدام برنامج الرزم الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS) مستنداً إلى طرق التحليل الإحصائي الوصفية والاستدلالية الآتية:

- **الإحصاء الوصفي**: عرض المعطيات الأولية باستخدام الرسوم البيانية والجداول، ثم باستخدام ثلاثة أنواع من المقاييس الإحصائية الوصفية: أحد مقاييس النزعة المركزية (الوسط الحسابي) ، وأحد مقاييس التشتت (الانحراف المعياري) لوصف أنماط تواصل الفاقدات والداعمات.

- **الإحصاء الاستدلالي**: مجموعة من الطرائق تستخدم للتعرف إلى خصائص مجتمع الفاقدات المحدد. وقد اُستخدم اختبار «ت» للمقارنات الثنائية

♦ (Paired Samples T- Test) لاختبار الفروق في درجات الاختبارين القبلي والبعدي، واستخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه (One Way ANOVA) ، وذلك لفحص مستوى دلالات الفروق بين المجموعات وداخل المجموعات لمواقف الفاقدات في أنماط التواصل (متغيرات تابعة) ، والتي تعزى للمتغيرات المستقلة مثل: (منطقة الفاقدة، ونوع الفاقدة، ونوع الفقدان، وأجيال الفاقدات، والحالة الاجتماعية، وسنوات التعليم) ، متبوعاً باختبار شيفيه (Scheffe test) لفحص مصادر الفروق (لصالح أي مجموعة) بين المجموعات وداخل المجموعات في هذه المواقف في حال وجود دلالة إحصائية للفروق بين المتوسطات الحسابية، تعزى للمتغيرات المستقلة. واُستخدمت درجة ثقة ذات مستوى أقل من ٠,٠٥ (على سبيل المثال: إذا كانت القيم تتراوح بين ٠,٠٠ و ٠,٠٥، فذلك يعكس أن هنالك فروقاً في المواقف تعزى لمتغير محدد) .

الإطار النظري: الفقدان والدعم في مناطق الصراع:

تحاول دراسات ميدانية متعددة أجريت في مناطق متعددة هي عرضة للصراعات المسلحة وللعنف المنظم الموجه من قوات عسكرية خارجية، إظهار أهمية الدعم الاجتماعي في مواجهة الاضطرابات ما بعد الصدمات وتأكيد أهمية هذا الدعم في وسط فئات النساء الأكثر عرضة لهذه الصدمات والاضطرابات (Dybdahl, 2000; Stein, 2000) . تفحص هذه الدراسات تبعات الاحتلال من ناحية، ومدى التكيف للفقدان واضطرابات ما بعد الصدمة من ناحية أخرى.

من هنا يبدو أن الفقدان والتكيف الاجتماعي هما مفهومان أساسيان لكثير من الدراسات. فقد أجرت عبد الهادي (٢٠٠٧) توثيقاً لروايات نساء خلال الانتفاضة الثانية، والتي هدفت إلى التعرف على الأدوار والصعوبات التي تواجه المرأة. وقد توصلت لنتائج بأن زوجات الشهداء يعانين من فقدان الأمان العاطفي والضغط الناجم عن تلبية احتياجات الأسرة الاقتصادية والنفسية. وتوصلت دراسة أكاديمية حول فردنية زوجات شهداء انتفاضة الأقصى (تعامرة وحسنين، ٢٠١٠) إلى نتيجة مفادها، أن زوجة الشهيد تعاني كثيراً نتيجة الفقدان، ولكن إيمانها بالله ساعدها على تقبل الفقدان، وكان عزاؤها الوحيد مع الأهل والأقارب والأصدقاء. وقد تبين أن لدى زوجات الشهداء درجة متوسطة من التكيف الاجتماعي. وتبين دراسة عواد (٢٠٠٦) ، أن الفاقدة لو اختارت إعطاء فقدانها معنى جماهيريًا وسياسيًا، سيتوجب عليها دفع ثمن قوامه عدم التحدث عن مشاعرها، وغضبها، وألمها وحزنها. فتكيف الفاقدة مرتبط بعالمين: عالم المعاناة الشخصية وعالم التوقعات الاجتماعية، والقومية والدينية منها كأم شهيد. كما توضح أبو دقة (٢٠٠٩) أن

تكيف النساء للفقدان ناتج من توافر العوامل الاجتماعية التي تتمحور حول ميزة التماسك الأسري والروابط الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني، وبخاصة في أوقات الفقدان.

في هذا الصدد، من الضرورة التطرق لمفهوم مهم وهو «الفقدان الجمعي» (Bajra-tarevic- Hayward, 2008) الناتج من الصدمات الآتية للصراعات المسلحة والحروب والاحتلال المزمن، وعلاقته بالدعم الاجتماعي المتوافر للفاقدات. تؤكد الدراسات الميدانية (Liabre & Hadi, 1997; Drumm, Perry & Pittman, 2001) أن بيئة «الفقدان الجمعي» تؤدي دوراً مهماً في حياة الفاقدات، ويرتبط ذلك بتوافر الدعم الاجتماعي. لذلك فالدعم الاجتماعي الضعيف هو عامل منبئ لاضطرابات ما بعد الصدمة وأقوى من تأثير الصدمة نفسها. إضافة إلى ذلك، فالبيئة الأسرية القريبة تؤثر بشكل واضح على مخرجات الصحة النفسية للفاقدة، حيث إن توافر الدعم الاجتماعي يساعد الفاقدات على التعامل مع الصعوبات والتحديات الناتجة عن الصدمات، وعلى دمج الفقدان في مواقف حياتية جديدة تتعلم الفاقدات من خلالها تقبل أوضاعهن الجديدة، وبمساندة من المجتمع ودعمه. من هنا تبرز الضرورة بتوفير الفرص تستطيع النساء من خلالها التعبير حقيقة عن تجارب حياتية في ظل هذه الحروب أو الاحتلال. (Gardam & Charlesworth, 2000; Wolte, 2004; Somasundaram, 2007) .

يعني الدعم مساعدة الأفراد على فهم الحدث الضاغط بشكل أفضل، وإمدادهم بالمصادر وأساليب التكيف معه. وقد يكون الدعم بمشاركتهم وجدانيا ومساعدتهم على التنفيس الانفعالي، أو بتقديم المعلومات ومساعدتهم على إعادة تنظيم مشاعرهم وأفكارهم وسلوكهم، وهو ما يمكنهم من التخفيف التدريجي عن الآثار السلبية للحرب (الشيمي، ٢٠٠٦) . ويبدو أن هذا الاتجاه من التدخل هو جمعي والذي يلزم، لكي نستخدمه، توفير الأدوات والموارد الكافية التي تضمن حصول الفاقدات على الأمن والدعم الذاتي (Gupta, 2008) . بالتالي، فالدعم الجمعي الشمولي (Kostelny, 2006) يقترح العمل مع النساء الفاقدات من خلال التطرق لخمسة مستويات: النساء كناجيات أو فاقدات، وأفراد الأسرة (خاصة الأزواج والأطفال) ، وأفراد المجتمع المحلي، وموفري الخدمات الاجتماعية، ثم المجتمع عامة.

إن الشفاء العاطفي والعقلي والروحاني الناتج من عمليات الدعم هي عملية مستمرة، وهو مرتبط بعناصر متعددة، منها الداخلية، ومنها الخارجية. ومن الواضح أن الاتجاه الذي يركز على حصول الإنسان على الدعم الاجتماعي (بما يشمل الاستماع والحديث معه) ، يساهم بشكل أنجع خلال التعامل مع الفقدان، وخاصة في حال أن دافعيته للتغيير تكون معدومة، وبحاجة لإعادة التنظيم (The Salvation Army International Headquarters, Health Services, 2006).

في هذا السياق الخاص بالدعم فإن الخطوة الأولى المهمة هي قبول حقيقة، أن الدعم الاجتماعي الذي يؤدي لتغيرات سلوكية هو في الحقيقة جهد لبناء المجتمع من جديد. بالتالي من المتوقع فهم نتائج التدخل، وتحديد أي من العناصر لدى الفاقدة بحاجة للتغيير (International Development Research Center, 2008) . وهذا التدخل الشمولي يطوي بداخله تدخل وقت الفقدان (Dyer, 2005) الذي يضمن الكشف عن حاجيات ملموسة لدى الضحايا، والتفتيش عن طرق من خلالها تستطيع التعبير عن انفعالاتها، والعمل على مساعدتهم على مواجهة صراعات يومية، والكشف عن موارد دعم داخلية في البيئة المحيطة، والأهم هو مساعدة الضحية على الاستمرار في الحياة؛ في حين أن محور هذا التدخل هو المساندة النفسية لضحايا الاحتلال والحروب.

إن لمدى التأثر المتباين للفقدان على النساء تفسيراً يُذكر في دراسات حول الدعم الاجتماعي المرتبط بالنوع الاجتماعي، حيث تتوافر ميزتان للدعم الاجتماعي: الأولى تتطرق لمساعدة فعلية موجهه للفرد، والثانية تتطرق للمنفعة التي تحصل في إطار التواصل الاجتماعي، في حين إن العنصر العاطفي هو العنصر المهم في الدعم الاجتماعي. من مقاييس الدعم الاجتماعي عدد التداخلات الاجتماعية وتكرار التواصل، وجودة التواصل، في الوقت الذي تكون فيه الميزات العاطفية والاجتماعية والعلاقات الذاتية القريبة موارد أساسية يتغذى منها الدعم الاجتماعي.

يستند هذا الدعم على مفهوم تمكين النساء من خلال بناء موارد مجتمعية وعلاقات اجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، فالعمل بمرافقة الأطراف المجتمعية يوفر بيئة ضرورية للتعامل مع الفقدان، من خلال معرفة السياقات التاريخية السياسية والاجتماعية والنفسية التي أنتجت هذا الفقدان وأفرزته (Kostelny, 2006; Conner, 2005) والتعامل معها كجزء من عملية الدعم من خلال توعية الفاقدات لتجارب ذاتية وجمعية، وتحليل هذه التجارب وفق هذه السياقات. فعلى سبيل المثال، أصبحت النساء في وقت الحرب (حسب الحالة الأوغندية) مسؤولات عن الأسرة وبدأن بتنفيذ أدوار جديدة إضافة للمسؤوليات التقليدية، مثل المحافظة وحماية الأطفال، وتنظيم الغذاء للأسرة، وفي الوقت نفسه اشتركن في فعاليات اجتماعية (Liebling et al., 2007) وفق هذه التجربة فقد تم العمل مع النساء من خلال تبني استراتيجيات تهدف إلى المحافظة على البقاء، وذلك من خلال تكوين مجموعات دعم. تحاول دراسة ليبلنج وآخرون (Liebling et al., 2008) ، إظهار الأدوار المهمة التي تؤديها النساء في أوقات الحرب وما بعدها، وخاصة على مستوى التدخل والاندماج الاجتماعي.

تظهر تجربة ضحايا الحروب في كمبوديا، كمثال ثان، أن التدخل طويل المدى يساعد الفاقدات على الكشف، وعلى توضيح طرق لإدارة الصعوبات النفسية. فمن ناحية

التدخل أُجريت لقاءات دعم فردية وجماعية لجميع ضحايا العنف العسكري. هذه الجلسات استخدمت تقنيات العلاج المعرفي الانفعالي، في حين أن هدفها هو مساعدة الضحايا على فهم مصادر عوارض الفقدان، والتخفيف من حدتها (Hinton, Navarro, & Pointe, 2006) . أما التجربة الأثيوبية، كمثال ثالث، فتتعامل مع ذكريات رمزية من ناحية أن المجتمعات خلال الصراع المسلح تمر بتجارب، وهذه التجارب تصبح ذكريات يعبر عنها بطرق مختلفة مثل القصص. كان اتجاه التدخل هو البدء في تحليل الصدمة الفردية وعلاجها، وبالمقابل تمكين الفاقدات من خلال بناء جديد للهوية القديمة أي تكوين هوية جديدة مستندة إلى الهوية القديمة، وهي قوية بشكل كاف، وتضمن تطوير الحل الذاتي للفقدان والوقاية من أي فقدان قادم (Trapman, 1997) .

أما التجربة الفلسطينية فتتعامل مع الفقدان وفق نهج من فاقدة إلى فاقدة (Espanioli, & Aweidah, 2007) . أي العمل من داخل المبنى العاطفي والنفسي للثقافة، بالإضافة إلى إزالة عنصر القوة والسلطة في العلاج، مما يجعل الدعم النفسي صادقاً وفاعلاً وسريع المفعول. يستند هذا العمل إلى عملية تواصل الفاقدات مع معاناتهن الذاتية وتواصلهن مع الفاقدات الأخريات، ومع أفراد مهمين في بيئتهن. تجربة توفر للفاقدات التعبير عن أصواتهن العاطفية الأمومية الطبيعية، وتود النساء الإفصاح عنها بخصوص الفقدان (أبو بكر وأخريات، ٢٠٠٦) . وبالتالي فقد نُظر للفاقدات ككيان حقيقي قائم بحد ذاته حول طرق مواجهتهن لممارسات الاحتلال (حسنين، ٢٠١١ب؛ Abu- Baker, et al., 2004).

نتائج الدراسة:

إن فترة الفقدان تُعدُّ هدما للتواصل، ليس فقط مع البيئة القريبة والبعيدة، وإنما مع الذات. ومما لا شك فيه أن تواصل الفرد يبدأ من ذاته، يليه تقوية التواصل مع الآخرين، ومن الممكن القول أيضا، وهذه الحقيقة لا تناقض ما قيل سابقا، إن العلاقة بين التواصل مع الذات والتواصل مع الآخر هي جدلية. تُعدُّ عملية توجيه مجموعة من الفقرات، التي تفحص تواصل الفاقدات مع أنفسهن ومع الآخرين خلال فترتين مهمتين في حياتهن (خلال الفقدان وبعد عملية الدعم) ، مقياساً جوهرياً من شأنه معرفة هل بالفعل طرأ تغيير حقيقي نتيجة المشاركة في تجربة الدعم.

أنماط تواصل الفاقدات والداعمات:

تظهر نتائج الدراسة أن حوالي ٦٠٪ من الفاقدات والداعمات أبدين موقفاً متوسطاً تجاه تواصلهن الذاتي والاجتماعي الموجود، في حين أن نسبة عالية منهن (٣٦٪) يحددن

أنماط تواصلهن الحالية بأنها ضعيفة (في حدود ١,٠٠– ٣,٣٣ من مجموع ١٠,٠٠ درجات) قبل خوضهن تجربة الدعم والتدريب. يبدو أيضا أن الفارق بين رؤيتهن الموجودة ورؤيتهن المرغوبة فرق شاسع حيث إن ٩٤٪ من الفاقدات والداعمات أبدين موقفاً متوسطاً تجاه تواصلهن المرغوب (مقارنة بـــ ٦٠٪ أبدين الموقف نفسه تجاه التواصل الموجود) .

الجدول (١)

استجابات الفاقدات والداعمات اتجاه أنماط التواصل الموجود والمرغوب القبلي والبعدي N: 94

أنماط التواصل	الدرجة	قبل الدعم	بعد الدعم
		النسبة	النسبة
الموجود	ضعيفة (١,٠٠– ٣,٣٣)	٣٦,٢	٢١,٣
	متوسطة (٣,٣٤– ٦,٦٧)	٥٩,٦	٧٨,٧
	قوية (٦,٦٨– ١٠,٠٠)	٤,٣	٠,٠
	المجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠
المرغوب	ضعيفة (١,٠٠– ٣,٣٣)	٦,٤	٠,٠
	متوسطة (٣,٣٤– ٦,٦٧)	٩٣,٦	٠,٠
	قوية (٦,٦٨– ١٠,٠٠)	٠,٠	١٠٠,٠
	المجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠

يظهر في الجدول (١) والرسم البياني (١) نتيجة مهمة بشأن التوقعات المرتفعة، ورغبتهن في الحصول على المزيد، وهذا الأمر يعكس عدم رضا الفاقدات عن وضعهن الحالي.

بعد حوالي السنة، طُرحت الأسئلة نفسها والنتيجة كانت مختلفة: ما حصل هو أن الفاقدات عبرن عن مواقف أكثر إيجابية تجاه وضعهن الموجود والمرغوب: ٧٩٪ (مقارنة بـ ٦٠٪ قبل الدعم) حددن أن درجة تواصلهن الحالية هي متوسطة و١٠٠٪ منهن حددن أن موقفهن تجاه تواصلهن المرغوب هي بدرجة قوية (جدول ٢ ورسم بياني ٢) . هل للتجربة التي مررن بها تأثير على هذه التغييرات؟؟ يفترض البحث أن لهذه التجربة الأثر الجوهري على التغيرات في أفكار الفاقدات ومشاعرهن وسلوكهن.

يؤكد الجدول الآتي (٢) هذه النتائج، من ناحية حصول تغييرات ملموسة في متوسط الدرجات التي حصلت عليها الفاقدات والداعمات على ثلاثة مستويات: الدرجة الكلية، والتواصل الذاتي والتواصل مع الآخر. بشكل عام: رؤية مجتمع الدراسة لتواصلهن الموجود هي من ضعيفة إلى متوسطة، في حين أن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية لجميع الفقرات

التابعة لمحور التواصل مع الذات هي منخفضة، مقارنة بالمتوسط الحسابي للدرجة الكلية لجميع فقرات محور التواصل مع الآخر. وهذه النتيجة ربما تعكس أن الفقدان كأزمة شخصية أولاً، وجمعية ثانية تؤثر بشكل أقوى وأشد على تواصل الفرد مع ذاته، ثم على تواصله مع الآخرين. وبالموازنة مع هذه النتيجة يبدو أن تجربة الدعم التي مرَّت بها الفاقدات لها أثر على هذا التواصل، وعلى حصول تغيير ايجابي في رؤيتهن لأنفسهن وللآخرين.

هذا على مستوى مواقف الفاقدات والداعمات تجاه التواصل «الموجود»، ولكن بالتطرق لمستوى التواصل «المرغوب» فيظهر التغيير الظاهر والملموس في درجات المتوسط الحسابي بين المواقف البعدية والقبلية للفاقدات.

بالتطرق لكل نمط من الأنماط العشرين (حسب جدول ٢) ، تبرز ثلاثة أنماط من مواقف الفاقدات تجاه الذات: (١) مدى ثقة الفاقدة بذاتها (تغير من متوسط حسابي ٣,٩٥ إلى ٤,٩٢ نتيجة الدعم تجاه الوضع الموجود وتغيير من متوسط الدرجة ٨,٥٢ إلى متوسط الدرجة ٩,٢٦ بعد الدعم تجاه الوضع المرغوب) . (٢) كيفية تصرف الفاقدة حين الغضب حيث يبرز أن الفاقدات لا يعبرن عن غضبهن تجاه الآخرين وإنما الميل الموجود هو توجيه الغضب للذات (تغير من متوسط حسابي ٣,٧٨ إلى متوسط حسابي ٣,٥٠ نتيجة الدعم اتجاه الوضع الموجود وتغيير من متوسط حسابي ٧,٦٦ إلى متوسط ٧,٣٦ بعد الدعم اتجاه الوضع المرغوب) وهذه النتيجة مهمة وبخاصة أن الفاقدات يملن إلى توجيه غضبهن إلى أنفسهن بدلا من توجيهه للآخر، وكما يبدو فالدعم يقوي هذا الميل أي أن الفاقدات والداعمات يفضلن كبت الغضب حتى لو كان مصدر الغضب خارجياً و (٣) مدى الارتياح والطمأنينة، فإن درجة هذا النمط هي الأكثر انخفاضاً وبخاصة تجاه الوضع الموجود قبل الدعم (تغير من متوسط حسابي ٣,١١ إلى متوسط حسابي ٤,١٦ نتيجة الدعم تجاه الوضع الموجود وتغيير من متوسط حسابي ٧,٧٨ إلى متوسط حسابي ٩,٠٢ بعد الدعم تجاه الوضع المرغوب) . ما يبرز هنا هو الفرق الشاسع بين المتوسط الحسابي لدرجات التواصل تجاه الموجود مقارنة بالمتوسط الحسابي لدرجات التواصل تجاه المرغوب قبل الدعم وبعده.

أما على مستوى مواقف الفاقدات تجاه التواصل مع الآخر قبل الدعم وبعده، فتبرز أربعة تغييرات في: (١) مدى تقبل الآخر. (٢) مدى مشاركة الآخر بالمشاعر، وهذا نمط مهم وضروري خاصة للداعمات والفاقدات. (٣) مدى محبة الآخر وهنا يظهر التحسن في قدرة الفاقدات على توجيه المحبة للآخر بعد عمليات الدعم. (٤) مدى الاهتمام بالمشاركة في دعم الآخر.

الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد مجتمع الدراسة عن متغيرات أنماط التواصل

اسم المتغير	القبلي N: 94				البعدي N: 94			
	موجود		مرغوب		موجود		مرغوب	
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أنماط تواصل ذاتي								
مدى معرفة الذات	٣,٤٦	١,٦٠	٨,٢٨	١,٣٣	٤,٠٩	١,٥٨	٩,٠٢	٠,٨٠
تقويم الذات	٣,٥٧	١,٥٨	٨,١٤	١,٤١	٤,١٤	١,٦٤	٩,٠٣	٠,٩٤
مدى الثقة بالذات	٣,٩٥	١,٧٣	٨,٥٢	١,٣٠	٤,٩٢	١,٧٩	٩,٢٦	٠,٨٥
الارتياح والطمأنينة	٣,١١	١,٣٨	٧,٧٨	١,٢٧	٤,١٦	١,٧١	٩,٠٢	١,٠٩
التوصل لتحصيل ما	٣,٦٩	١,٦٧	٨,٠٠	١,٣٩	٤,٤٠	١,٩٦	٩,٢٢	٠,٨٩
التصرف حين الغضب	٣,٧٨	١,٦٦	٧,٦٦	١,٧٣	٣,٥٠	١,٥٩	٧,٣٦	١,٤٣
انفتاح فكري	٣,٦١	١,٦٦	٨,١٣	١,١٢	٤,٤٠	١,٥٦	٨,٦٨	١,١٢
التخطيط للمستقبل	٣,٧٧	١,٨٠	٨,٥٩	١,١٤	٤,٦٠	١,٩٠	٨,٩٣	١,١٤
الاستقلالية	٣,٦٢	١,٥٢	٨,١٠	١,٥٦	٤,٢٧	١,٧٥	٨,٩٠	١,٠٤
المجموع	٣,٧٤	١,٣١	٨,١٤	١,٣١	٤,٢٧	١,٣٣	٨,٤٣	٠,٨٤
أنماط تواصل مع الآخر								
محبة الآخرين	٤,٠٥	١,٨٣	٨,١٥	١,٤٠	٤,٩٩	٢,١٣	٨,٧٢	٠,٩٩
التعبير عن مودة الآخرين	٣,٨٤	١,٨٠	٨,٢٤	١,٢٢	٥,٠١	٢,١١	٨,٧٣	١,٠٦
مشاركة الآخرين بالمشاعر	٣,٩٧	١,٩٤	٧,٨٥	١,٦٧	٤,٣١	١,٦٨	٨,١٨	١,٤١
مساهمة في المجتمع	٣,٦٠	١,٧٧	٨,٢٩	١,٤٥	٤,٢٦	١,٨٦	٨,٣٤	١,٣٦
علاقة مع مؤسسات	٣,١١	١,٧١٥	٦,٩٧	٢,١٥	٢,٨١	١,٧٤	٧,٢٤	٢,١٢
رد فعل لعنف الآخر	٣,٨١	١,٧٦	٧,٧٨	١,٦٣	٣,٤٠	١,٦٩	٧,٦٩	١,٥٢
القدرة على الإنصات للآخر	٤,٠٣	١,٦٣	٨,٣٤	١,٢١	٤,٧٨	١,٩٨	٨,٨٢	١,١٦
رد فعل لنقد الآخر	٣,٧٩	١,٤٤	٨,٠٩	١,٢٨٣	٤,٢٩	١,٨٣	٨,٤٣	١,٣٦
تقبل المختلف	٤,٤٣	١,٦٦	٨,١٧	١,٠٥	٤,٧٣	٢,٠١	٨,٥٣	١,٢٥
المشاركة في الدعم	٤,٣٠	١,٩٧	٨,٣٦	١,٣٩	٤,٣٧	٢,٠٢	٨,٨٧	١,١٠
المشاركة في جلسة فردية	٣,٧٤	١,٨٨	٧,٣٦	١,٧٤	٤,٧١	٢,٢٨	٧,٧٦	٢,٠٧
المجموع	٣,٩٨	١,٣٧	٨,٠١	٠,٨٥	٤,٢٤	١,٢١	٨,٣٠	٠,٨٤
المجموع الكلي	٣,٨٦	١,٢٩	٨,٠٧	٠,٧٨	٤,٢٦	٠,٨١	٨,٣٤	٠,٦٧

يلخص الجدول الآتي (٣) الفروق بين القياس والقبلي والقياس البعدي، والذي يظهر أن هذه التغييرات جوهرية وذات دلالة إحصائية على مستوى الفروق في المتوسطات الحسابية بين الفحص البعدي والفحص القبلي في مجمل أنماط التواصل «الموجود» (t (93) = 2.442; P=0.012) . تظهر هذه الدلالة الإحصائية الجوهرية في الفروق بين الفحصين أيضا في جميع أنماط التواصل «المرغوب» (t (93) = 4.756; P=0.000) .

الجدول (٣)

ملخص نتائج اختبار «ت» للمقارنة بين مجموعتي الداعمات القبلية والبعدية N: 94

نمط التواصل		القياس	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة
عام	الموجود	البعدي	٤,٢٥٥	١,٢٠٨	٢,٤٤٢	٠,٠١٢
		القبلي	٣,٨١٦	١,٢٥٨		
	المرغوب	البعدي	٨,٣٤	٠,٦٦٠	٤,٧٥٦	٠,٠٠٠
		القبلي	٨,٠٧	٠,٧٨٤		
تواصل مع الآخر	الموجود	البعدي	٤,٢٤٠	١,٢٠٨	١,٦٣٠	٠,١٠٧
		القبلي	٣,٩٧٥	١,٣٧٢		
	المرغوب	البعدي	٨,٣٠١	٠,٨٤١	٢,٠٥٠	٠,٠٤٣
		القبلي	٨,٠٠٩	٠,٨٥٤		
تواصل مع الذات	الموجود	البعدي	٤,٣٧٤	١,٣٣١	٣,١٢٠	٠,٠٠٢
		القبلي	٤,٧٣٨	١,٣٠٧		
	المرغوب	البعدي	٨,٤٣٣	٠,٨٣٥	٢,٢٨١	٠,٠٢٥
		القبلي	٨,١٣٩	٠,٨٧٧		

يتضح من الجدول (٣) أن نتيجة واحدة غير جوهرية إحصائيا وهي بشأن الفروق في المتوسطات الحسابية بين القياس البعدي والقياس القبلي في أنماط التواصل مع الآخر في مستوى «الموجود» (t (93) = 1.630; P=0.107) . السؤال المطروح هنا: أي متغيرات من أنماط التواصل مع الآخر هي المؤثرة على هذه النتيجة غير الجوهرية؟ للإجابة على هذا السؤال حُلِّلت الفروق في كل نمط من أنماط التواصل مع الآخر «الموجود» خلال القياسين البعدي والقبلي. تظهر النتائج وجود فروق جوهرية وذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية بين القياس البعدي وبين القبلي في خمسة أنماط تواصل مع الآخر «الموجود» وهذه المتغيرات هي: مدى محبة الآخر (t (93) = 3.450; P=0.001) ؛ مدى التعبير عن مودة الآخرين (t (93) = 4.404; P=0.000) ؛ مدى المساهمة في المجتمع (t (93) = 2.381; P=0.019) ؛ مدى القدرة على الإنصات للآخر (t (93) = 2.896; P=0.005) ؛ ومتغير رد

الفعل لعنف الآخر (t (93) = 2.176; P=0.032) ؛ أما بالنسبة للمتغيرات الستة الأخرى من التواصل مع الآخر (وهي: مدى مشاركة الآخر بالمشاعر؛ ومدى العلاقة مع مؤسسات؛ ومدى تقبل الآخر المختلف؛ ومدى الرغبة للمشاركة في الدعم؛ ومدى رد الفعل لنقد الآخر، ومدى المشاركة في جلسة فردية) ، فالتحليل الإحصائي البعدي والقبلي لا يظهر فروقاً ذات دلالة إحصائية، أي لا تتوافر تغييرات للمتوسطات الحسابية في درجات مواقف الفاقدات في هذه الأنماط من التواصل من خلال المقارنة بين القياس البعدي والقياس القبلي.

من الواضح أن نتائج هذا التحليل تؤكد حصول تغييرات إيجابية لدى الفاقدات والداعمات، وبخاصة على مستوى الوعي للهوية الذاتية. ومن الواضح أيضاً أنه لم تحصل تغييرات جوهرية في القياس البعدي مقارنة بالقبلي. من الممكن طرح بعض من التفسيرات التي توضح عدم وجود هذه التغييرات: (١) جزء من الفاقدات مررن بتجربة دعم سابقة، وعبرن عن رضاهن عن المشاركة في لقاءات الدعم، وهذا ما يفسر عدم وجود أي فارق ملموس في تصورهن تجاه المشاركة في الدعم في الفحص القبلي البعدي (متوسط حسابي ٣,٧٤ قبل الدعم مقارنة مع ٣,٧١- بعد الدعم) . (٢) حصل تراجع في تصور الفاقدات والداعمات لمدى العلاقة مع المؤسسات (من متوسط حسابي ٣,١١ قبل الدعم إلى ٢,٨١ بعد الدعم) ويمكن اعتبار هذه النتيجة منطقية، من ناحية تعبير الفاقدات عن مدى رضاهن «السلبي» عن أداء المؤسسات، وهذا المدى تعمق بعد الدعم بعدما مررن بتجربة الدعم في المشروع التي عززت موقفهن حول «عدم قدرة المؤسسات الأخرى على توفير مثل هذه التجربة لهن».

الفروق في أنماط التواصل:

كما ذكرنا سابقا هنالك مجموعة محددة من المتغيرات المستقلة التي تعبر عن مميزات مجتمع البحث. هذه المتغيرات هي: المنطقة السكنية، ونوع الفاقدة، ونوع الفقدان، والأعمار، والحالة الاجتماعية وسنوات التعليم.

ولمعرفة دلالة الفروق في المتوسطات الحسابية لدرجات مواقف الفاقدات والداعمات في أنماط التواصل التي تعزى لهذه المتغيرات، كل على حدة، اُستخدم تحليل التباين الأحادي الاتجاه (One- Way ANOVA) . يعكس التحليل أن نوع الفقدان، والأعمار، والحالة الاجتماعية وسنوات التعليم لا يوجد لها أي تأثير على المتوسطات الحسابية لدرجات مواقف الفاقدات والداعمات في أنماط التواصل. في حين أن التحليل الإحصائي يظهر وجود الفروق في متغيرين: المنطقة السكنية ونوع الفاقدات. يتطرق البحث إلى الفروق في الجداول الآتية (٤– ٧) . يظهر الجدول (٤) دلالة الفروق في أنماط التواصل تعزى للمنطقة السكنية.

الجدول (٤)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد مجتمع الدراسة على أنماط التواصل لمتغير منطقة السكن (N: 94)

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة «ف» المحسوبة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية/ الموجود القبلي	بين المجموعات	٣٤,٦٠٤	٢	١٧,٣٠٢	١٢,٨٨١	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	١٢٢,٢٣٧	٩١	١,٣٤٣		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٩٣			
الدرجة الكلية/ الموجود البعدي	بين المجموعات	٤٩,١٩٣	٢	٢٤,٥٩٦	٢٥,٨٤٣	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٨٦,٦١٢	٩١	٠,٩٥٢		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٩٣			
الدرجة الكلية/ المرغوب القبلي	بين المجموعات	٣,٦٨٤	٥	١,٨٤٢	٣,١٣٠	٠,٠٤٨
	داخل المجموعات	٥٣,٥٥٤	٥٥٠	٠,٥٨٩		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٥٥٥			
الدرجة الكلية/ المرغوب البعدي	بين المجموعات	٩,٢٤٦	٢	٤,٦٣٢	١٣,١٤٨	٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٣٢,٠٥٧	٩١	٠,٣٥٢		
	المجموع	٤١,٣٢١	٩٣			
	داخل المجموعات	٥٥,٠٣٥	٩١	٠,٦٠٥		
	المجموع	٦٤,٩٨٦	٩٣			

يظهر هذا التحليل وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية للدرجة الكلية لمحاور أنماط التواصل تعزى للمنطقة السكنية، ماعدا المتوسطات الحسابية للدرجة الكلية لمحور «تواصل مع الذات» على المستوى المرغوب في القياس القبلي. أي أن مواقف الفاقدات والداعمات تجاه أنماط تواصلهن مختلفة في المناطق الثلاث: بيت لحم، ونابلس وجنين. والسؤال المطروح هو: لصالح أي منطقة تكمن الفروق الدالة إحصائيا في المتوسطات الحسابية؟

الجدول (٥)

نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية لمواقف الفاقدات والداعمات من أنماط التواصل لمتغير مكان السكن (N: 94)

أنماط التواصل والقياس	المناطق		الفرق في المتوسطات	مستوى الدلالة
العام الموجود القبلي	جنين	بيت لحم	١,٤٠٩	٠,٠٠٠
	جنين	نابلس	١,١٠٦	٠,٠٠١
	نابلس	بيت لحم	٠,٣٠٣	٠,٥٩٧

أنماط التواصل والقياس	المناطق		الفرق في المتوسطات	مستوى الدلالة
الموجود البعدي	جنين	بيت لحم	١,٦٣٤	٠,٠٠٠
	جنين	نابلس	١,٣٩٠	٠,٠٠٠
	نابلس	بيت لحم	٠,٢٤٤	٠,٦٢٣
المرغوب القبلي	جنين	بيت لحم	٠,٤٠٥	٠,١٢٧
	جنين	نابلس	٠,٤٢٢	٠,٠٨٧
	نابلس	بيت لحم	٠,٠١٧	٠,٩٩٦
المرغوب البعدي	بيت لحم	جنين	٠,٤٦٣	٠,٠١٢
	نابلس	جنين	٠,٧٤٢	٠,٠٠٠
	نابلس	بيت لحم	٠,٢٧٨	٠,١٩٤

يظهر التحليل الإحصائي حسب اختبار «شيفيه» للمقارنات البعدية أن الفروق الجوهرية في المتوسطات الحسابية لمحور التواصل العام في المستوى «الموجود» القبلي والبعدي هي لصالح منطقة جنين. أي أن هذه النتيجة تعني أن للفاقدات والداعمات من منطقة جنين تصوراً أكثر إيجابية تجاه تواصلهن مع الذات ومع الآخر خلال القياسين البعدي والقبلي على مستوى التواصل «الموجود». يظهر هذا التحليل أيضا أنه على مستوى التواصل «المرغوب» لا نستطيع الكشف عن فروق جوهرية بين منطقة ومنطقة في القياس القبلي، مقارنة مع القياس البعدي: في حين توجد فروق جوهرية بين منطقة بيت لحم وجنين لصالح بيت لحم، وبين منطقة نابلس وجنين لصالح نابلس، وهذه النتائج (أي على مستوى المرغوب البعدي) تختلف عن نتيجة سابقة (الموجود البعدي) ، حيث تبين أن الفروق هناك لصالح منطقة جنين. والنتيجة المهمة في جميع الأحوال هي بشأن التشابه والتجانس في تصور فاقدات وداعمات منطقتي نابلس وبيت لحم تجاه تواصلهن. هذه النتيجة تختلف عن نتيجة سابقة تظهر أن فاقدات منطقة جنين ومنطقة نابلس هن الأكثر معاناة من الفقدان. من الصعب إيجاد التفسيرات المناسبة خاصة حول فاقدات منطقة جنين، فعلى الرغم من أن فقدانهن هو الأشد، فإن موقفهن تجاه تواصلهن العام على المستوى الموجود هو الأكثر إيجابياً. تبدو هذه الإجابة منطقية، وهذا يبين أن لشدة الفقدان تأثيراً إيجابياً، وخاصة على مستوى إدراك الفاقدات لتواصلهن الحالي مع الذات ومع الآخرين.

كما ذكرنا سابقاً، فان التحليل الإحصائي يظهر وجود الفروق في المتوسطات الحسابية لدرجات مواقف تجاه التواصل تعزى لمتغير «نوع الفاقدات». يتطرق المشروع لثلاثة أنواع من الفاقدات اشتركن في فعالياته: الفاقدات الجدد، والفاقدات الداعمات الجدد، والفاقدات الداعمات القدامى. والسؤال الذي نطرحه هنا: هل لكل نوع من الفاقدات أنماط تواصل مختلفة موجودة ومرغوبة قبل الدعم وبعده؟ الإجابة عن هذا السؤال تبدو في الجدول (٦) .

الجدول (٦)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاستجابة أفراد مجتمع الدراسة على أنماط التواصل لمتغير نوع الفاقدة (N: 94)

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة «ف» المحسوبة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية/ الموجود القبلي	بين المجموعات	٢٠,٠٨٨	٢	١٠,٠٤٤	٦,٦٨٤	٠,٠٠٢
	داخل المجموعات	١٣٦,٧٥٢	٩١	١,٥٠٣		
	المجموع	١٥٦,٨٤١	٩٣			
الدرجة الكلية/ الموجود البعدي	بين المجموعات	١٥,٠٢٥	٢	٧,٥١٣	٥,٦٦٠	٠,٠٠٥
	داخل المجموعات	١٢٠,٧٧٩	٩١	١,٣٢٧		
	المجموع	١٣٥,٨٠٤	٩٣			
الدرجة الكلية/ المرغوب القبلي	بين المجموعات	١,٢٣٣	٥	٠,٦١٦	١,٠٠١	٠,٣٧١
	داخل المجموعات	٥٦,٠٠٥	٥٥٠	٠,٦١٥		
	المجموع	٥٧,٢٣٨	٥٥٥			
الدرجة الكلية/ المرغوب البعدي	بين المجموعات	٠,٢٢٦	٢	٠,١١٣	٠,٢٥٠	٠,٧٨٠
	داخل المجموعات	٤١,٠٩٥	٩١	٠,٤٥٢		
	المجموع	٤١,٣٢١	٩٣			

النتيجة المهمة بشأن توافر تشابه في تصور جميع الفاقدات في أنماط التواصل المرغوبة في القياسين البعدي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,٣٤) والقبلي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,٠٧) ؛ في أنماط التواصل الذاتي المرغوب والقبلي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,١٤) ، وفي أنماط التواصل مع الآخر المرغوب والبعدي (المتوسط الحسابي للدرجة الكلية هي: ٨,٣٠) . وهذه النتائج تعكس أن لجميع الفاقدات طموحات إيجابية وتصورات قوية لما يردن ويرغبن الحصول عليه مستقبلاً.

أما على مستوى التصورات التي تعكس تواصل الفاقدات الآتية: فتتوافر فروق جوهرية نسبة إلى مجموعات الفاقدات الثلاث. أين تكمن هذه الفروق؟ للإجابة على هذا التساؤل، أُستخدم اختبار «شيفيه» للمقارنات البعدية ونتائجه تظهر في الجدول (٧) .

الجدول (٧)

نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية لمواقف الفاقدات من أنماط التواصل لمتغير نوع الفاقدة (N: 94)

	المتغيرات		الفرق في المتوسطات	مستوى الدلالة
الموجود القبلي	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	١,١٦٦	٠,٠١٢
	داعمة قديمة	داعمة جديدة	١,٧٦٣	٠,٠٠٣
	فاقدة جديدة	داعمة جديدة	٠,٥٩٦	٠,٣٠٢
الموجود البعدي	داعمة جديدة	فاقدة جديدة	٠,٩٦١	٠,٠٣٢
	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	٠,٨٧٠	٠,٠٥٠
	داعمة جديدة	داعمة قديمة	٠,٠٩٢	٠,٩٨١
المرغوب القبلي	داعمة قديمة	داعمة جديدة	٠,٤٤١	٠,٣٩٠
	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	٠,٢٧٩	٠,٥٢٣
	فاقدة جديدة	داعمة جديدة	٠,١٦١	٠,٨٠٥
المرغوب البعدي	داعمة قديمة	فاقدة جديدة	٠,٠٦٩	٠,٩٤٧
	داعمة جديدة	فاقدة جديدة	٠,١٤٠٠	٠,٨٠١
	داعمة جديدة	داعمة قديمة	٠,٠٧٠	٠,٩٦٧

تشير المقارنات الثنائية البعدية وفق اختبار شيفيه والواردة في الجدول (٧) أن هنالك فروقاً ذات دلالة إحصائية في تصورات الفاقدات من التواصل الموجود والقبلي بين أربع مجموعات من الفاقدات، وهي: الداعمات القدامى والفاقدات الجدد لصالح الداعمات القدامى، وبين الداعمات القدامى والداعمات الجدد، ولصالح الداعمات القدامى. ولكن لا توجد فروق جوهرية في المتوسط الحسابي لدرجة التواصل الموجود والقبلي بين الفاقدات الجدد والداعمات الجدد. ولكن بالتطرق للمواقف تجاه التواصل الموجود والبعدي، فالفروق الجوهرية في المتوسطات الحسابية جوهرية بين أربع مجموعات: الداعمات القدامى والفاقدات الجدد لصالح الداعمات القدامى وبين الداعمات الجدد والفاقدات الجدد لصالح الداعمات الجدد. وهذه النتائج منطقية ومتوقعة، حيث إن للداعمات القدامى تجربة سابقة في المرحلة الأولى والثانية من المشروع، وللداعمات الجدد تجربة في المرحلة الثانية، ولهذه التجارب تأثير ايجابي على مواقفهن تجاه أنماط تواصلهن على مستوى التواصل مع الذات ومع الآخر. أي أن للداعمات القدامى مواقف أكثر إيجابية تجاه تواصلهن الذاتي، وتواصلهن مع الآخر، مقارنة بالداعمات الجدد والفاقدات الجدد.

الدعم المعنوي والاجتماعي من وجهة نظر الفاقدات:

◄ السؤال الأول: **هل صحيح أن التضامن والمساعدة تخفف على الناس همومها ومصائبها؟**

الجدول (٨)

تأثير التضامن

القياس N: 94	موافقة جدا	موافقة	الى حد ما	غير موافقة	غير موافقة أبدا
	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٥١,٤	٣٤,٣	١١,٤	١,٤	١,٤
بعد الدعم	٦٤,٣	٢٤,٣	١٠,٠	٠,٠	١,٤

القبلي	M.D.= 1.671	S.D.= 0.846	t=1.21	p= 0.091 أي: p> 0.05
البعدي	M.D.= 1.500	S.D.= 0.794		

تظهر بيانات هذا الجدول أن أغلبية الفاقدات والداعمات توافقن على أن الدعم يساعد الناس على التخفيف من الشعور بالضائقة، في حين أن الفروق بين القياسين غير جوهرية إحصائياً، الأمر الذي يعني أنهن يؤمن بأهمية الدعم قبل خوضهن هذه التجربة.

◄ السؤال الثاني: **هل تشعرين أنك مررت بظروف أدت إلى طلب المساعدة؟**

الجدول (٩)

ظروف بحاجة للمساعدة

القياس N: 94	كثير مرات	أحيانا	ولا مرة
	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٧٧,١	٢١,٤	١,٤
بعد الدعم	٩١,٤	٨,٦	٠,٠

القبلي	M.D.= 1.242	S.D.= 0.462	t= 2.628	P= 0.017 أي: p< 0.05
البعدي	M.D.= 1.085	S.D.= 0.281		

من الواضح حسب هذا الجدول أن أغلبية الفاقدات والداعمات يؤمن أنهن بحاجة إلى مساعدة نتيجة الفقدان، في حين أن عملية الدعم ساعدت في رفع وعيهن لهذا الموقف، وبخاصة أن المقارنة البعدية القبلية تظهر تغييرات جوهرية في الموقف.

◄ السؤال الثالث: **هل تشعرين شخصيا أن هناك من يمكن أن يساندك ويساعدك في محنتك وصعوباتك؟**

الجدول (١٠)

المساندة والدعم الخارجي

القياس	نعم	أحيانا	لا
N: 94	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٦٢,٩	٢٠,٠	١٧,١
بعد الدعم	٧٠,٠	٢١,٤	٨,٦

القبلي	M.D.= 1.542	S.D.= 0.774	t= 1.332	P= 0.187
البعدي	M.D.= 1.385	S.D.= 0.643		أي: p> 0.05

وفق هذا الجدول لا تتوافر فروق دالة إحصائياً في موقف الفاقدات والداعمات حول شعورها بوجود مصادر دعم خارجية تستطيع مساعدتها خلال الفقدان بين القياسين البعدي والقبلي. ولكن من الواضح أن غالبيتهن يشعرن بأهمية المساندة الخارجية.

◄ السؤال الرابع: **كيف ممكن تقييم هذا الدعم؟**

الجدول (١١)

تقييم الدعم

القياس N: 94	تساعد كثيرا	تساعد	تساعد بعض الشيء	لا تساعد	لا تساعد بالمرة
	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٣٧,١	٣٢,٩	٢٥,٧	٢,٩	١,٤
بعد الدعم	٤٠,٠	٤٥,٧	١٤,٣	٠,٠٠	٠,٠

القبلي	M.D.=1.985	S.D.= 0.940	t= 1.715	P= 0.091
البعدي	M.D.=1.742	S.D.= 0.695		أي: p> 0.05

يوضح الجدول (١١) أن حوالي ٨٦٪ من الفاقدات والداعمات يقررن بفائدة المساعدة بعد تلقيهن الدعم مقارنة بـ ٧٠٪ منهن (قبل الدعم) ، في حين لا توجد فروق دالة إحصائياً بين المتوسطات الحسابية في القياس البعدي مقارنة بالمتوسطات الحسابية في القياس القبلي.

◄ السؤال الخامس: **ما هي مصادر هذا الدعم؟**

الجدول (١٢)

مصادر الدعم

القياس	عائلية	اجتماعية	مؤسساتية
N: 94	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الدعم	٥٢,٩	٢١,٤	٢٥,٧
بعد الدعم	٢٧,١	٢١,٤	٥١,٤

البعدي	M.D.=2.257	S.D.=0.879	t=4.114	P=0.000
القبلي	M.D.=1.742	S.D.=0.879		أي: p< 0.05

إن للتجربة التي مرت بها الفاقدات والداعمات تأثيراً على مواقفهن بشأن مصادر الدعم، أي أن حوالي ٢٦٪ منهن اعتقد قبل الدعم أن المؤسسات هي مصدر المساعدة، ولكن النسبة ارتفعت إلى ٥١٪ بعد الدعم وهذه التغييرات تعدُّ جوهرية إحصائياً، وهذه النتيجة تعزز أهمية الدعم الذي يوفره المشروع.

مواقف الفاقدات تجاه التكيف مع الفقدان:

فُحصت الكيفية التي تتعامل بها الفاقدات الجدد مع الفقدان، كما فُحصت قدرتهن على التأقلم. وقيست مواقفهن في ثلاث مراحل حرجة: قبل الفقدان، وقبل الدعم وبعد الدعم. والجدول (١٣) يظهر توزيع الفاقدات حسب مواقفهن تجاه جميع فقرات الفقدان والدعم.

الجدول (١٣)

توزيع الفاقدات حسب الدرجة الكلية لمواقفهن تجاه الاضطرابات (N: 94)

القياس	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	مطلقا
	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
قبل الفقدان	٠,٠	٠,٠	١٢,٩	٤٨,٦	٣٨,٦
قبل الدعم	٠,٠	٢,٩	٦٧,١	٢٧,١	٢,٩
بعد الدعم	٠,٠	١,٤	١٨,٦	٤٧,٣	٥,٧

تظهر هذه النتائج أن حوالي ٩٢٪ من الفاقدات الجدد عبرن عن ندرة أو عدم معاناتهن من أي اضطرابات قبل الفقدان التي فُحصت، أي أن ٨٪ منهن عانين من الاضطرابات قبل الفقدان. في حين إن ٦٦٪ منهن عبرن عن ندرة أو عدم معاناتهن من أي اضطرابات بعد الدعم. أما بالنسبة لفترة قبل الدعم (أو بالأحرى خلال الفقدان) فقد عبَّرت ٣٠٪ عن ندرة

أو عدم وجود أي اضطرابات لديهن. أي أن ٧٠٪ منهن عانين من اضطرابات بعد الصدمة على جميع متغيراته خلال فترة الفقدان. هل هذه الفروق هي جوهرية إحصائياً؟ نرى ذلك في الجدول الآتي (١٤) .

الجدول (١٤)

ملخص نتائج اختبار «ت» للمقارنة بين مجموعتي الفاقدات القبلية والبعدية لمتغيرات التعامل مع الفقدان والدعم (N: 70)

التعامل مع الفقدان	القياس	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة
ملخص	قبل الفقدان	٤,٢٥٧	٠,٦٧٤	٥,٢٧٨	٠,٠٠٠
	بعد الدعم	٣,٨٤٢	٠,٥٢٨		
	بعد الدعم	٣,٣٠٠	٠,٥٧٤	٦,٤٦٢	٠,٠٠٠
	قبل الدعم	٣,٨٤٢	٠,٥٢٨		

يظهر في هذا الجدول أنه حصلت تغييرات جوهرية في مواقف الفاقدات الجدد تجاه اضطرابات الفقدان وتجربة الدعم. في حين إن المتوسط الحسابي للدرجة الكلية لمتغيرات الفقدان كانت ٤,٢٨ قبل الفقدان (أي، نادراً) و ٣,٣٠ خلال الفقدان (أي، أحياناً) لتصبح ٣,٨٤ بعد الدعم (أي، نادراً) . تؤكد هذه النتائج أن لعملية الدعم تأثيراً إيجابياً على مواقف الفاقدات تجاه التعامل مع اضطرابات الفقدان.

وقد فحص كل نوع اضطراب على حدة، لنرى هل حصلت تغييرات في مواقف الفاقدة نتيجة الدعم أو لا؟ بالتطرق لاضطرابات النوم على سبيل المثال، تظهر النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين موقف الفاقدات في فترة الفقدان، وبين موقفهن في فترة ما بعد الدعم (t (69) =3.59; p=0.000) في حين إن موقف الفاقدات لوضعهن قبل الفقدان مشابه لموقفهن بعد الدعم. (t (69) =0.58; p=0.554) هنالك عشرة متغيرات أخرى متشابهة في النتائج وهي: فقدان الشهية، والعزلة، والخوف من الوحدة، وكوابيس وأحلام مزعجة، وسماع أصوات في الرأس، والبكاء الشديد، وضرب وصراخ على أفراد في الأسرة، وعدم الخروج من البيت، واستخدام مسكنات والقرار بشأن مولود جديد. تعني هذه النتائج أن لعملية الدعم تأثيراً في التخفيف من حدة هذه السلوكيات المصاحبة للفقدان، وهذه النتائج تنعكس بشكل جوهري، إحصائياً، من خلال المقارنة بين الفترات الثلاث.

المجموعة الثانية من المتغيرات تتطرق لمتغيرات الفقدان التي تختلف في درجة متوسطها الحسابي خلال المقارنة بين الفترات الثلاث. فعلى سبيل المثال، بالتطرق لمتغير

الشكوى من أمراض جسمانية تتوافر فروق دالة إحصائيا بين موقف الفاقدات في فترة ما بعد الدعم، وبين موقفهن في فترة ما قبل الفقدان (t (69) =3.34; p=0.001) وإن موقف الفاقدات لوضعهن بعد الدعم مختلف أيضاً عن موقفهن قبل الدعم.(t (69) =4.38; p=0.000) كذلك الأمر بالنسبة لعشرة متغيرات أخرى هي: التشتت وعدم التركيز، والرعب المستمر، والخوف من الليل، والخوف من الاجتياح، والخوف من الدبابات والطيارات، والزيارات المتكررة للطبيب، وعلاقات جنسية مع الزوج، وعدم زيارة الأهل والجيران، وعدم لباس الملابس التي تريدها وعدم صنع كعك العيد. هذه النتائج تؤكد أثر الدعم على التخفيف من اضطرابات الفقدان، وأن وضع الفاقدات قبل الفقدان كان في درجة «نادراً» تجاه الاضطرابات، وكان «غالباً» قبل الدعم وأصبح «أحياناً» بعد الدعم.

من الواضح حسب هذه المعطيات أن جزءاً من الاضطرابات موجود لدى الفاقدات قبل الفقدان، وهذا مؤشر لتأثير الفقدان الجمعي الذي تعاني منه جميع شرائح المجتمع الفلسطيني نتيجة لممارسات الاحتلال. فعلى سبيل المثال، موقف الفاقدات في الفقرة «الخوف من الاجتياح» كان متشابهاً إلى حد ما في ثلاث فترات: فقبل الفقدان كان المتوسط الحسابي ٢,٦٤ (أحياناً) وكان المتوسط الحسابي خلال الفقدان ٢,١١ (غالباً) ويصبح ٣,٥٣ (نادراً) ما بعد الدعم. لكن النقطة المهمة هنا هي أن عملية دعم الفاقدات خففت من شعورهن بالخوف من الاجتياح، على سبيل المثال.

مناقشة وتوصيات ـ أثر تجربة الدعم:

إن المرأة الفلسطينية تواجه، بل تقاوم الاحتلال من خلال صمودها ووعيها رغماً عن الأسى والحزن، وتواجه أيضا وبالتزامن نفسه مسألة المحافظة على مكانتها في ظل النظام الأبوي، وفي الوقت نفسه هي فاقدة وفرضت عليها أدوار جديدة. هذه المواجهة الثلاثية الأوجه تخلق كائناً قوياً ومستعداً لخوض أي تجربة جديدة.

إن معاناة النساء في ظل الاحتلال لا تقل عن معاناة أي فئة سكانية أخرى وخاصة الرجال. فكثير من الدراسات الميدانية تُظهر أن المرأة هي الأكثر تضرراً من الاحتلال العسكري ومن تأثيراته وتبعاته السياسية، والعسكرية، والاقتصادية والاجتماعية. وبالرغم من ذلك، يتم تجاهل معاناتها، بل في أحيان يتم إسكات صوتها، فتتزايد معاناة النساء في فترات الاحتلال العسكري والحروب نتيجة الأدوار والمسؤوليات الإضافية الملقاة على عاتقهن كونهن زوجات وأمهات وفاقدات.

لقد تم، ضمن تجربة نساء فاقدات، وصف أوضاعهن وتحليلها: ما قبل الفقدان، وخلال الفقدان، وخلال الدعم وبعد الدعم، كما تتصورها الفاقدات والداعمات أنفسهن.

يظهر التحليل الإحصائي أن لنوع الفقدان، وعمر الفاقدات، وحالتهن الاجتماعية ولسنوات التعليم لا يوجد أي تأثير على أنماط التواصل خلال القياس القبلي والبعدي. في حين أن التحليل يظهر وجود الفروق في متغيرين: المنطقة السكنية ونوع الفاقدات.

يظهر التحليل الإحصائي أيضاً حصول تغييرات جوهرية في مواقف الفاقدات تجاه اضطرابات الفقدان وتجربة الدعم، ويؤكد أن لعملية الدعم تأثيراً على التعامل مع اضطرابات الفقدان. إن جزءا من هذه الاضطرابات موجود لدى الفاقدات قبل الفقدان، وهذا مؤشر لتأثير الفقدان الجمعي الذي تعاني منه شرائح عديدة في المجتمع الفلسطيني نتيجة لممارسات الاحتلال.

دراسات كثيرة ومتعددة تركز على تجارب النساء خلال الاحتلال والحروب وخاصة في لبنان والكويت والعراق وفلسطين (حب الله، ١٩٩٦؛ صالح، ٢٠٠٦؛ رضوان، ٢٠٠٦؛ جار الله، ٢٠٠٦؛ النابلسي، ٢٠٠٦) ، ودراسات أخرى تبرز تجارب لمشاريع عديدة أجريت في مناطق صراع عسكري (Ahern, 2004; Kawachi and Berkman, 2001) . وتُظهر نتائج هذه الدراسات أن أكثر المجموعات أو الفئات المتأثرة هن النساء اللواتي لا يتوافر لهن دعم اجتماعي كاف للتعامل مع الفقدان. دراسات شبيهة تظهر أهمية الدعم الاجتماعي في مواجهة الاضطرابات ما بعد الفقدان، وتؤكد أهمية هذا الدعم خاصة في وسط فئات النساء مقارنة بفئات الرجال، وذلك لأن النساء هن الأكثر عرضة لهذه الاضطرابات، وهذا يعني أن الرجال بحاجة للدعم، ولكن ربما بشكل مختلف (Dybdahl, 2000; Stein, 2000) .

تختلف هذه التجارب عن التجارب التي تمر بها المرأة الفلسطينية؛ لأن الاحتلال مستمر، وهذا التهديد مزمن. فالتجربة الفلسطينية فريدة من نوعها كونها تحصل في سياق احتلال يسيطر على الإنسان والأرض. فمع حصول الفقدان تتصاعد حدة الاضطرابات فتصبح المرأة الفلسطينية تعاني من توترات وقلق، ليس فقط بسبب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعيشها كل أسرة فلسطينية، وإنما لأن زوجها أو ابنها مطارد أو معتقل أو مصاب أو شهيد، أو بسبب هدم بيتها أو بسبب الفقدان المتعدد. وما نتوصل إليه من خلال الدراسة أن المرأة الفلسطينية هي الفئة الأكثر تضررا نتيجة الفقدان، فزيادة على الخوف والحزن الذي ينتابها، اضطرت إلى تعزيز واجباتها الأسرية (نتيجة فقدان الزوج خاصة) في أحيان عديدة، إضافة إلى التأقلم مع ظروف جديدة فرضت عليها. لكن النتيجة الإيجابية هي أن النساء، وهنَّ ضحايا الحرب، استطعن التعبير عن قدرتهن على التكيف مع هذه الظروف الجديدة والتفاعل معها، وهذا التكيف نابع من توافر العوامل الاجتماعية التي تتمحور حول ميزة التماسك الأسري والروابط الاجتماعية والإيمان بالله وخاصة في أوقات الصدمات (أبو دقة، ٢٠٠٩؛ عبد الهادي، ٢٠٠٧؛ تعامرة وحسنين، ٢٠١٠) .

وانطلاقا من اتجاه التدخل الشمولي تظهر نتائج الدراسة الحالية صعوبة التعامل مع الفقدان الجمعي إلا بانتهاج تدخل يأخذ بالحسبان جميع الأطراف: الأفراد والجماعات والمؤسسات، والأهم هو أن هذا النهج يضمن العمل سوية مع النساء الفاقدات والفاقدات الداعمات، بالإضافة إلى العمل مع أطراف مجتمعية. هذا التوجه يتطرق أيضا إلى توعية الأطراف المجتمعية المختلفة حول تأثير السياقات العسكرية، والسياسية، والتاريخية، والاجتماعية والنفسية التي أفرزت هذا الفقدان (Kostelny, 2006; Conner, 2005) والتعامل معها كجزء من عملية الدعم، ومن خلال توعية الفاقدات لتجارب ذاتية، وتحليل هذه التجارب من منطلق هذه السياقات.

إن عملية فحص نتائج التجربة ضرورية من ناحية دعمها الذاكرة الجمعية و»صراع الذاكرة والهوية» (حسنين، ٢٠١١أ؛ كيفوركيان، ٢٠٠٧) حول الفقدان. من أهم نتائج الدراسة هي أن عملية فحص واقع النساء الفاقدات تعطي الفرصة في مشاركة هذه التجارب مع العالم الخارجي. إن مواقف الفاقدات، كما وردت وخلال فترات حياتية مختلفة، (خاصة خلال الفقدان وخلال الدعم وبعده) ، تعكس إدراك الفاقدات الخاص لمصادر الفقدان ألا وهو الاحتلال، وتعكس قوة النساء على تحدي ذلك من خلال الإصرار على التغيير وبناء مكانة ثقافية جديدة. بالتالي ففهم هذه التغييرات في مواقف الفاقدات مهمة لعلماء الاجتماع، للباحثين وللأخصائيين النفسيين والعاملين في المجالات النفسية والاجتماعية، وهي ضرورية لصانعي القرارات والسياسات الاجتماعية، بهدف ضمان استمرارية التعامل مع هذه التجارب، وتطوير التدخل الاجتماعي الشمولي في مجال الفقدان.

يبدو، من خلال الاستناد إلى نتائج الدراسة، أن تجربة الدعم الحالية أسهمت بشكل واضح في إحداث تحولات لدى الفاقدات، تتجه جميعها نحو الأهداف المنشودة، وهي التخفيف من حدة اضطرابات الفقدان، وإحداث تغييرات فكرية وعاطفية لديها، وبالتالي سلوكية من خلال التعامل مع ذاتها، ومع أفراد أسرتها، ومع أفراد في بيئتها، فالفاقدات رغم الحزن والأسى لم يستسلمن، بل نجحن في إعادة توازنهن وتوازن أسرهن خلال الدعم وبعده. فالفاقدات اليوم، يظهرن القوة والجرأة والتحدي، ويظهرن أن لديهن هوية وذاكرة جمعية قوية.

فالتطور الحاصل لدى الفاقدات هو أقوى من أي تغيير حصل لديهن قبل التجربة. هذه المرحلة من الدعم وفرت للفاقدات والداعمات تجربة جديدة. إن التحليل الإحصائي

يؤكد حصول تغييرات إيجابية لدى الفاقدات والداعمات، وبخاصة على مستوى الوعي لمركبات التواصل الذاتي. ولكن في بعض أنماط التواصل، وخاصة التواصل مع المؤسسات حصل تراجع في تصور الفاقدات والداعمات لمدى العلاقة مع المؤسسات، ويمكن اعتبار هذه النتيجة منطقية، من ناحية مدى تعبير الفاقدات عن مدى رضاهن «السلبي» عن أداء المؤسسات، وهذا المدى تعمق بعد الدعم بعدما مررن بتجربة الدعم التي عززت مواقفهن حول عدم قدرة المؤسسات الأخرى على توفير مثل هذه التجربة لهن.

بالتالي تتوصل الدراسة لمجموعة من التوصيات من أهمها:

١. نظراً للقضايا المرتبطة بمكانة المرأة في المجتمع الفلسطيني، لا تستطيع المرأة تمكين نفسها لوحدها، وإحداث تغييرات لديها. وبالتالي فالمنشود هو إقامة شبكة دعم نسائية في مجال الفقدان.

٢. الفهم الثقافي ضروري لتطوير أي برنامج تدخل للمرأة والفقدان الناجم عن وجود الاحتلال، وبالتالي من الأهمية أن تراعي هذه البرامج الحساسيات الثقافية والاجتماعية وعلاقات النوع الاجتماعي.

٣. إن دمج المرأة في عملية صنع القرار مهمة شاقة نظراً للقيود الثقافية والسياسية والعملية. ومع ذلك، يمكن تطوير مجتمعات محلية أو منظمات شعبية لها قدرة التأثير على هيئات صنع القرار، كالمشرعين والحقوقيين والناشطين الاجتماعيين والنواب السياسيين، في مجال تطوير برامج مناسبة لضحايا الفقدان.

٤. من الضرورة أن يساعد الدعم على تقوية المساعي لكسب العيش من خلال توفير فرص عمل جديدة وتطويرها للفاقدات.

٥. إن مدى الوعي لتأثير الاحتلال على المرأة قد ارتقى خلال السنوات الماضية، وما زال هناك كثيرٌ مما ينبغي معرفته حول المسائل المعقدة التي تحيط بالفقدان والدعم. إن من أهداف البرامج، هي تحسين حياة المرأة الفاقدة من خلال اتباع نهج متداخل ومتكامل يركز على التواصل الذاتي، والتواصل مع الآخرين خلال فترة الفقدان.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. أبودقة، س. (٢٠٠٩) . الآثار النفسية الاجتماعية التي خلفتها الحرب على المرأة بغزة وخطة مقترحة للتدخل. غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية.

٢. ابو بكر، خ.، كيفوركيان، ش. عويضة، س. وضبيط، غ. (٢٠٠٦) . النساء والنزاع المسلح والفقدان. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٠ و١١: ١٧٩– ١٨٢.

٣. تعامرة، م. وحسنين، س. (٢٠١٠) . فردنية زوجات شهداء انتفاضة الأقصى في منطقة بيت لحم. القدس: برنامج العمل الاجتماعي، الدراسات العليا، جامعة القدس (غير منشورة) .

٤. جار الله، س. (٢٠٠٦) . الصدمة النفسية الناجمة عن انتفاضة الأقصى. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ٢٣٨– ٢٤١.

٥. حب الله، ع. (١٩٩٦) . جرثومة العنف: الحرب الأهلية في صميم كل منا. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

٦. حسنين، س. (٢٠١١أ) . فاقدات منسيات وذاكرة شعب. متوفر في الموقع:

http:// www.pls48.net/ default.asp?CatID=13&ID=75217

٧. حسنين، س. (٢٠١١ب) . تجربة الفقدان، الذاكرة المنسية وتغيير «الطابو» الاجتماعي: ما بين الحيز الخاص والحيز العام. متوفر في الموقع:

www.arabs48.com/ ?mod=articles&ID=84535

٨. رضوان، ج. (٢٠٠٦) . الاثار النفسية للخبرات الصادمة. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ١٤– ١٩.

٩. الشيمي، د. (٢٠٠٦) . المساندة النفسية لمتضرري الحروب والكوارث. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ٩٩– ١١٣.

١٠. صالح، ح. (٢٠٠٦) . اضطرابات ما بعد الضغوط الصدمية. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ٩– ١٤.

١١. عبد الهادي، ف. (٢٠٠٧) . لو املك الخيار. رام الله: مركز للإرشاد القانوني والاجتماعي.

١٢. عواد، ن. (٢٠٠٦) . قصة الأمهات الـ ١٢ اللاتي قتل أبناؤهنّ بالرصاص في أكتوبر ٢٠٠٠. رسالة ما جاستير غير منشورة. قسم الدراسات متعددة المجالات، وحدة الدراسات الجندرية– جامعة بار ايلان.

١٣. المركز العربي للدراسات المستقبلية (٢٠٠٢) . ملامح الصدمة النفسية الفلسطينية عبر عقود من العدوان: سيكولوجية الانتفاضة وخصوصية الضغوط الممارسة عليها. متوفر في الموقع: http:// www.mostakbaliat.com/ trauma.html

١٤. النابلسي، م. (٢٠٠٦) . العناية بضحايا العنف الجمعي. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد ١٢: ١٢٥– ١٣٢.

١٥. كيفوركيان، ن. (٢٠٠٧) . سياسات إسرائيل لهدم البيوت الفلسطينيّة وصراع الذاكرة، الأرض، الهُويّة: منظور نسويّ. حيفا: برنامج الدراسات النسوية في مدى الكرمل. متوفر في الموقع: www.arabs48.com/ ?mod=articles&ID=44311

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Abu- Baker, Kh., Kevorkian, N., Aweidah, S. & Dait, E. (2004) . Women, armed conflict and loss- the mental health of Palestinian women in the occupied territories. East Jerusalem: Women Studies Centre.*
2. *Ahern, J. et al., (2004) . Gender, social support, and Posttraumatic stress in Postwar Kosovo. The Journal of Nervous and Mental Disease. Vol. 192 (11) : 762- 770.*
3. *Bajraktarevic- Hayward, J. (2008) .Community level interventions in working with torture and trauma survivors- nexus between theory and practice. From the web site: http:// www.psychevisual.com/ lecture. html?lecture=39*
4. *Conner, M. (2005) . Coping and surviving violent and traumatic events. Available at: http:// www.crisiscounseling.org/ TraumaLoss/ CopingWithTrauma.htm*
5. *Drumm, R., Perry, S. & Pittman, S. (2001) . Women of war: Emotional needs of ethnic Albanian in refugees camps. AFFILIA, Vol. 16 (4) : 467- 487.*

6. *Dybdahl, R. (2000) . Children and mothers in war: An outcome stress of a psychosocial intervention program. Child Dev. 72: 1214- 1230.*
7. *Dyer, K., (2005) . Living Through and Surviving Traumatic Events. Available at: http:// www.medicalwellnessassociation.com/ articles/ traumatic_events.htm*
8. *Espanioli, H, & Aweidah, S. (2007) . Women, armed conflict and loss- the experience of bereaved women in mutual psychological support. Women Studies Centre. East Jerusalem: Al- Manar Modern Press.*
9. *Gupta, R. (2008) . The need for a holistic approach to social intervention. Available at: http://t8web.lanl.gov/people/rajan/AIDS- india/MYWORK/ designing.html*
10. *Hinton, A., Navarro, N. & Pointe, T. (2006) . Truth, trauma and the victims of torture project: Helping the victims of the Khmer Rouge. Cambodia: Transcultural Psychological Organization.*
11. *International Development Research Center (2008) . Community Approaches to Coping with the Traumas of Violent Conflict. Available at: http:// www.idrc.ca/ en/ ev- 122220- 201- 1- DO_TOPIC*
12. *Kawachi, I. and Berkman, Lf. (2001) . Social ties and mental health. Journal of Urban Health, 78: 458- 467.*
13. *Kostelny, K. (2006) . A culture- based, integrative approach. In: Boothby N, Strang A, Wessells M. , editor. A world turned upside down- social ecological approaches to children in war zones. CT, USA: Kumarian Press. pp. 19–37.*
14. *Liabre, M. & Hadi, F. (1997) . Social support and psychological distress in Kuwaiti boys and girls exposed to Gulf Crisis. Journal of Clinical Child Psychology, 26: 247- 255.*
15. *Liebling, H. et al. (2007) . Experiences of women war torture survivors in Uganda: Implications for health and human rights. Journal of International Women's Studies, Vol. 8 (4) : 1- 17.*
16. *Liebling, H. et al. (2008) . Violence against women in Northern Uganda: The neglected health consequences of war. Journal of International Women's Studies, Vol. 9 (3) : 174- 192.*
17. *Psychology Glossary (2011) . Definition of: Attitudes. Available at: http:// www.alleydog.com/ glossary/ definition.php?term=Attitudes*

18. *Somasundaram, D. (2007) . Collective trauma in northern Sri Lanka: A qualitative psychosocial- ecological study. Department of Psychiatry, University of Adelaide, Australia & University of Jaffna, Sri Lanka. Available at:*
http:// www.pubmedcentral.nih.gov/ articlerender.fcgi?artid=2241836

19. *Stein, M. (2000) . Gender differences in susceptibility to posttraumatic stress disorder. Behavior Research Therapy, 38: 619- 628.*

20. *The Salvation Army International Headquarters Health Services (2006) . Trauma Counseling and Psychological – Social Approaches- A co- factor in community recovery after a disaster: A guide to psycho- social support through community counseling: Theory, Processes and Skills. Washington, DC: Salvation army World Services Office.*

21. *Trapman, M. (1997) . Collective Trauma among Displaced people and refugees in Ethiopia: Steps towards intervention projects. Available at: http:// www.xs4all.nl/ ~mtrapman/ Ethiopia/ Pages/ interv.htm*